

السخرية الهادفة في نصوص أحمد رضا حوحو القصصية

قراءة في "نماذج بشرية"، ومع "حمار الحكيم"

أ-فاطمة الزهراء تابتي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

تاريخ القبول: 2018/04/10

تاريخ الإرسال: 2017 /12/28

الملخص:

AHMED REDA HOUHOU is one of the revolutionary authors who called for social reform through his writings. He participated through his work in raising the interest of readers to the status of the society to improve their living conditions.

He used to share his attitudes towards political and social issues to fight injustice and to build a clean society through the process of social and ethical reform.

The author adopted mockery in his writings as a way to discuss those contradictions and paradoxes that characterized the Algerian society at that time.

In fact, the purpose behind his mockery wasn't to accuse or defame persons but it was rather an artistic technique full of wisdom to call for positive change and reform.

"SI ZAAROUR" and "WE AND THE WEST" are examples of HOUHOU'S stories which include comical situations through which he attempted to transmit lessons of moral laws to the society.

KEY WORDS: the algerian short story, the deliberate irony, irony in the short story, ahmed reda houhou.

أحمد رضا حوحو أديب من زمرة الأديباء الذين ساروا في ركب الإصلاح وأهله، فكان طاقة حية لاستمراره، وقلمًا سيالا، لمجاهة ضراوة الحياة، فلم يتوانى عن الإفصاح عن مواقفه سياسية كانت أو اجتماعية، يرنو من خلالها إلى إصلاح الحال، والإطاحة بالظلم، كي ينمو مجتمع جديد خال من الشوائب، وهو ما كان يطلق عليه ب"التقويم الخلقى والاجتماعي"، فلم يجد الكاتب في أحيان كثيرة أحسن من السخرية في وجهها الهازل، وسيلة للتعبير عن تناقضات عميقة، ومفارقات ضح بها المجتمع الجزائري ولكنها سخرية هادفة تئى عن أن تكون استهزاء يستهدف القذف والتجريح، ولكنها صياغة فنية تستبطن الحكمة وترنو إلى الإصلاح، فكانت شخصية "سي زعرور" و"نحن والغرب" أنموذجين لمسنا فيهما زخما من الحكمة المبطنة في قالب هزلي فكاهي هادف... الكلمات المفتاحية: السخرية الهادفة، القصة القصيرة الجزائرية، أحمد رضا حوحو السخرية في القصة القصيرة.

عندما يقف الكاتب أمام تناقضات ومفارقات مجتمع عصبية على الاستيعاب فإنه يلتف حول الكتابة الساخرة ينشد من وراءها الإقناع والتغيير، ولعل السخرية هي أجدى الوسائل وأنفعها في هذا التغيير الذي ينشده الكاتب، لذلك "تقف السخرية على رأس الأساليب الفنية الصعبة، إذ أنها تتطلب التلاعب بمقاييس الأشياء تضخيماً أو تصغيراً، تطويلاً أو تقزيماً، هذا التلاعب يتم ضمن معيارية فنية هي تقديم النقد اللاذع في جو من الفكاهة والإمتاع، غير أن أسلوب السخرية يختلف من عصر إلى عصر، ويتفاوت من كاتب إلى آخر"¹ ولعل الدارس للأدب العربي يجد الكثير من الكتاب الذين خاضوا في هذا الفن قديماً كالجاحظ الذي كان "يعالج المشكلات بالضحك، ويجابه المواقف بالسخرى، ويواجه الخصوم بالهزء والاستخفاف"² وعلى الرغم من صعوبة هذا الفن إلا أنه استقطب الكثير من الأدباء والمبدعين الجزائريين على غرار البشير الإبراهيمي، السعيد بوطاجين، أحمد رضا حوحو وغيرهم وهذا الأخير هو محل دراستنا حيث توصل بالقصة القصيرة للتعبير عن واقع مثقل بالهموم والأحزان والمفارقات جاعلاً من السخرية تيمة تعبر عن حمولاته وأثقاله، فكانت السخرية، والسخرية الهادفة طابعاً مميزاً لكتابات القصة وهو إذ يلجأ إلى السخرية لمعالجة قضايا في مجتمعه ذلك لعدم قدرته على تغييرها في الواقع أو التعبير عنها بشكل صريح، فهنا يكون التداوي من الألم بضده ونقيضه، فما هي حقيقة السخرية عند أحمد رضا حوحو وما دوافعها وتجلياتها في نصوصه الأدبية؟

1- تحديد مصطلح السخرية :

1-1- في المعنى اللغوي:

إذا كان الفن القصصي من أشيع الأنواع الأدبية كلها اليوم لاتصاله بالأحاسيس والوجدان فإن القصة الفكاهية أو الساخرة قديمة قدم الإنسان الذي يتسم بأن من خصائصه الضحك³ والسخرية في معناها اللغوي بمعنى "الهزء والتذليل والاحتقار"⁴ فهي بهذا المعنى موقف متعال، يزدري كل ما هو غريب وغير مألوف "وفي كل انقطاع عن المؤلف شيء يثير الضحك."⁵

2-2- حول السخرية وارتباطاتها التاريخية (المفهوم الاصطلاحي):

يبقى لهاته الأخيرة مفهومها الاصطلاحي الذي يصعب تحديده لتداخله مع مصطلحات أخرى تدرج ضمن الأدب الفكاهي إلا أنها تبقى "سلاحاً عدائياً مهما كانت

دوافعها، ومهما كان مقامها، ومهما صغرت درجتها أو كبرت، غير أنه مصوغ بروح الفكاهة وأسلوبها⁶ لطالما كانت السخرية سلاحا يقرع به الأديب الساخر جنود الظلم والبهتان في مجتمع ما وتعريتهم بإلقاء الأضواء على الثغرات والسلبيات وأوجه القصور فيهم.⁷

2-السخرية في القصة القصيرة الجزائرية :

السخرية في الأدب فن "ينم عن ألم دفين، ويشف من كرب خفي، يريد اللجوء إليه ليداوي ألمه بالضد، ويشفي كربته بالنقيض"⁸ فالسخرية هي تنفيس عن الآلام المكبوتة، وتفرغ للطاقة العصبية البالغة القوة وسد منبع في وجه الظلم والقهر واليأس الذي تصفعا به التناقضات والمفارقات في الحياة⁹ ولقد أجمع الكثير من الدارسين والنقاد الجزائريين على أن ظاهرة السخرية بالجزائر ارتبطت برواية "الحمار الذهبي"، للأديب الأمازيغي "لوكيوس أبوليوس" وهذه الرواية هي صورة ساخرة للمجتمع الإغريقي في جميع جوانبه الحياتية، "فهي ترسم لنا صورة رائعة عن العالم القديم، وتعرض علينا جرأة اللصوص، ودناءة الرهبان، وقسوة السيد علي عبده"¹⁰ فهي صورة موبوءة بالفساد والانحطاط في ذلك العصر، أما في العصر الحديث الذي عرف الظلم والقهر والعسف بفعل الاحتلال الفرنسي الذي "راح يوظف كل ما لديه من قوة ظاهرة أو باطنة للقضاء على مصادر الثقافة الوطنية."¹¹ فلم يكن الأدب الجزائري والقصة القصيرة تحديدا بمعزل عن هذه الأحداث والملابسات التي يعيشها المجتمع الجزائري، وإنما دأبت على معالجتها بكل أبعادها "تتناول قطعا عرضيا من الحياة تحاول إضاءة جوانبها، أو تعالج لحظة وموقفا يستشف أغوارهما، تاركة أثرا واحدا وانطبعا محددًا في نفس القارئ."¹² وهنا حاولت القصة القصيرة اللعب على السخرية والمفارقة كونها "أسلوبا يتعد عن المباشرة ويتجنب العلنية في المقاومة، ويخفي البنية المبيتة لتوعية الجماهير وتكوينها وثقيفها"¹³ فنجد الكثير من كتاب القصص الجزائريين لجأوا إلى هذا الفن لما له من تأثير ووقع كبيرين على العقل العربي المعاصر وأحمد رضا حوحو واحد من هؤلاء الكتاب استثمر السخرية في أعماله حتى صارت "ظاهرة شائعة في جميع آثاره حتى الجاد منها، يلتجئ إليها للتعبير عن خلجات نفسه وآرائه في شؤون الحياة."¹⁴

1-2-بواعث اللجوء إلى السخرية عند احمد رضا حوحو:

أحمد رضا حوحو هو رائد القصة الجزائرية، رصد في قصصه هموم الجزائريين ومشاكلهم ومعاناتهم في ظل الاحتلال الفرنسي بأسلوب شيق وممتع ومريح ممزوج بالسخرية الهادفة من أجل إغراء أكثر للقارئ لكي يبقى مستمرا في يقظته أثناء القراءة، ولعل الكاتب يرى في السخرية "طريقة مناسبة لتنبيه الظالمين والأشرار والمتعجرفين".¹⁵ على اعتبار أنها "أعرق أسلحة البشر وألطفها، فهي سلاح الفقير على الغني، والضعيف على القوي، وسلاح المظلوم على الظالم".¹⁶ وفي جميع قصصه الساخرة يحمل قضية شعبه ووطنه بالأمها وآمالها يكسر حاجز الصمت "لتصوير الفضائح الاجتماعية، وتقاليد المجتمع المبتذلة بدافع الرغبة في إصلاحها"¹⁷

2-2-نماذج من قصصه الساخرة :

يقول الأستاذ عبد الرحمن شيبان عن أدب رضا حوحو "يمتاز أدب الاستاذ احمد رضا حوحو بطابع الخفة والصدق والانتقاد، فإنك لا تكاد تقرأ له فصلا من فصوله، أو قصة من أقاصيصه، أو تشاهد له مسرحية من مسرحياته حتى يفاجئك بهذا الثالوث الجميل الحبيب...ولا تظن أن كاتبنا يتكلف هذه الخصائص تكلفا، أو يسعى إليها سعيا، بل إنها لتنبعث من نفسه الخفيفة الصادقة الناقدة انبعاثا، فهو خفيف في كلامه، خفيف في نكته، خفيف في حركته وسكونه، وهو يعالج ما يعالج من الشؤون بكل صدق، وينظر إلى كل ما تقع عليه عينه بروح نقدية تنفذ إلى صميم الأشياء، وتعبير واحد جامع، فإن رضا حوحو في أدبه هو نفس رضا حوحو في حياته من غير ما تعديل أو رتوش"¹⁸ فقد قدم مجموعة من الأعمال القصصية التي انتزعتها من صميم المجتمع الجزائري بأسلوب تغلب عليه السخرية والتهكم في غير ما إسفاف أو تعقيد فنجد من أعماله الساخرة :

➤ مع حمار الحكيم (مقالات قصصية ساخرة 1953م) هي مجموعة قصص ساخرة فكاهية تأثر فيها الكاتب بالأديب المصري توفيق الحكيم من خلال كتابه (قال لي حماري).
 ➤ صاحبة الوحي (قصص 1954م) التي استقى وقائعها من الحياة اليومية وعلاقاته مع الناس وقد تميزت هذه المجموعة بالطرافة والفكاهة أحيانا وهي تمثل مرحلة هامة من مراحل نشأة القصة وتطورها في الأدب الجزائري.

➤ نماذج بشرية (قصص 1955م) وهي أيضا مجموعة قصصية مستوحاة من عمق المجتمع تنبض بواقع الحياة اليومية وقد برزت في هذه المجموعة روح السخرية لدى الكاتب والتصوير الكاريكاتوري المضحك أكثر من سابقها.¹⁹

إن المجموعات القصصية التي أوردناها سابقا هي أهم أعمال الكاتب التي لعب فيها على المفارقة والسخرية الهادفة، فليس عجبا أن ينزع رضا حوحو إلى اعتماد هذا الأسلوب في الكتابة في مجتمع كالمجتمع الجزائري "تسوده تقاليد معينة في المرأة ورجال الدين، وتحكمه سياسة معينة قائمة على العنف والإرهاب في كل شيء، فلو أن حوحو امتهن الرسم لكان أبرع الرسامين في فن "الكاريكاتير" بالذات.²⁰

3- السخرية الهادفة في "شخصية زعرور" ومع "نحن والغرب":

3-1- قراءة تحليلية في "نماذج بشرية":

في هذه المجموعة القصصية وفق حوحو إلى حد كبير في انتزاع شخصياته من عمق المجتمع الجزائري الذي كان يضح بالمفارقات والتناقضات، فاستطاع الكاتب أن يرصد فيها مكامن الضعف والقوة، والخير والشر في أسلوب ساخر فكاهي طريف يجذب إليه القارئ انجذابا، يقول في ذلك "لم أعمد في عرض النماذج إلى الخيال فأستخدمه في التنميق والتزييق..إنما التجأت إلى المجتمع، وانتزعت من مختلف طبقاته نماذج حية عشت مع بعضها وسمعت بعضها أقدمها للقارئ لعله يتوصل بها إلى تفهم بعض طباع مجتمعه، فيلمس أنبل نفس في أحقر شخصية، ويلمس الإيمان القوي في قلب الرجل الضال، والزئج والإلحاد تحت عمامة رجل الشرع."²¹ وقد صدر كتابه بقول لابرويار: "يجب أن نتكلم كلاما صادقا، وأن نفكر تفكيرا صائبا، دون أن نحاول جلب الآخرين إلى أذواقنا وعواطفنا... إن ذلك لهو العمل الجليل..²² مما يدل على سعة اطلاعه على الآداب الغربية التي تعمل على تطوير الموروث حتى يصبح ذا دلالة، متماشيا مع روح العصر فهو الذي يقول: "فإن هناك مذاهب عديدة جديدة في الآداب والفنون من الواجب معالجتها ودراستها والسير على غرارها، ومن العبث إهمالها لأنه لم يكن لنا حظ في إيجادها وخلقها، ومن التعصب الذميمة أن ننكر النافع الجيد من مذاهب الغير."²³ وتضم هذه المجموعة العناوين التالية: الشيخ زروق، وعائشة، والعصامي، والعم نتيش، والسكير، ورجل من الناس، وفاقيع الأدب، والشخصيات المرتجلة، والأستاذ، وسيدي الحاج، وبجي الضيف

وسي زعرور، والتلميذ، غير أنه يجب التنبيه إلى أن ما ورد في نماذج بشرية لا ينتهي كله إلى فن القصة القصيرة هناك فصل من مسرحية (الأستاذ)، مقال قصصي (يعي الضيف)، فقايق الأدب (مقال نقدي)، سيدي الحاج (مقال قصصي)²⁴

3-1-1: شخصية سي زعرور:

تقوم الشخصيات التي رسمها حوحو في قصصه بدور أساس في تحريك الأحداث من البداية إلى النهاية وهي ذات اتجاه ساخر هازل لا تعدم متنفسا يثير في نفس المشاهد أو القارئ الضحك أو الابتسام²⁵ فتزعة السخرية وجدت مرتعا خصبا ومتنفسا في كتاباته وغلبت عليه فلا يحرك قلمه إلا لينتقد ويسخر، وشخصية سي زعرور واحدة من النماذج التي حرك فيه رضا حوحو قلمه نقدا وسخرية.

3-1-2: ملخص حول قصة سي زعرور:

تدور أحداث القصة حول شخصية سي زعرور المعلم الطيب الساذج القانع بكفاف العيش لا يغيره درهم ولا دينار غير أن الحياة بتقلباتها صهرته في بوتقتها ليخرج إنسانا جديدا غير ما عرفه القارئ في البداية، بل إنسانا جشعا احترف النصب والاحتيال ليقف في الأخير موقفا مضطربا يعاني صراع الضمير²⁶ شخصية زعرور هي الشخصية الرئيسية في النص، وقد أعطاهم الكاتب فضاء واسعا للتحرك داخله على اعتبار أن العمل الفني (قصة أو مسرحية) "يعتمد اعتمادا كلياً على الشخصية، ويرتبط بها، لذا ينبغي فهمها والتعرف عليها حتى تتجلى أفكارها وأفعالها وعلاقتها بالشخصيات الأخرى"²⁷

3-1-3: أساليب السخرية في القصة: هي في النص متعددة لتعدد المفارقات

والتناقضات وقد حاولنا تجليتها كما أفرزتها الكتابة الإبداعية عند حوحو:

❖ التصوير الكاريكاتوري: وهو وضع الشخص في صورة مضحكة كالمبالغة في وصف عضو من أعضاء الجسم، غير أنه لم يرد كثيرا في النص، فلا نكاد نعثر عليه إلا نادرا وذلك عندما قام الراوي بوصف المدير الجشع "بيطنه المنتفخة"²⁸ وذلك لكثرة ما أكل من أموال الناس بالباطل والانتهاز.

❖ معالجة الشيء الحقير كأنه عظيم (الذم بما يشبه المدح): نجد هذا الأسلوب عندما وصف الراوي المدير الجشع باللباقة عندما توجه هو ووالد التلميذ إلى قسم "سي زعرور" من أجل إفهامه الغرض من زيارته، "فحاول المدير بلباقته أن يفهمه الغرض من

زيارته ولكنه خيب ظنه "فهنا تهكم وسخرية من المدير المعروف بالجشع والطمع، غير أنه عندما يرى المال يتحول إلى إنسان وديع لبق يحسن التصرف.

❖ التبالة، أو تجاهل العارف : نجد هذا الأسلوب عندما توجه المدير مع والد التلميذ من اجل الاستفسار عن سبب النتائج السيئة للتلميذ، غير أن "زعرور" وصفه بأنه "تلميذ بليد، كثير التأخر، قليل العمل، ولهذا فلا غرابة إذا ما أحرز على هذه النتيجة السيئة.."³⁰ ورغم محاولة المدير إفهام الوالد أن الخطأ من الحاسب وغمزه للمعلم زعرور ليؤكد على صحة كلامه غير أن هذا الأخير تجاهله مدعياً أنه لا يعرف هذا الحاسب وأنه هو الذي ينقل النتائج بنفسه³¹

❖ المفارقة : من أزم لوازم السخرية، المفارقات والتناقضات التي تتجلى في النص القصصي الساخر، وهي في هذا النص تتجلى في شخصية "سي زعرور" الذي بدا في البداية "قانعاً بالحياة، وبنصيبه منها، راضياً عن نفسه وعمله، كان رجلاً تقياً فاضلاً نزيهاً... لا يعرف الشر ولا يتصور صدور من الناس"³² لتنقلب الأدوار وينقلب معها الحمل الوديع ذنباً خطيراً دخل في مجال ليس من اختصاصه خسرفيه شرفه وسمعته الحسنة "فكشر عن أنيابه، وطرد النائب وصديقه من مكتبه وحرّم عليهما دخوله غير عابئ بالتهديد والوعيد"³³ ومن المفارقات العجيبة أيضاً أن "زعرور الجديد" الذي غيرته الظروف القاسية فتحول من إنسان فاضل شريف إلى إنسان "لا يشبه خلفه إلا في الاسم، أو بقية ضمير مثقل بالذنوب وشرف مدنس بالردائل"³⁴ قد عثر وهو يقلب في البريد على وسام المعارف الذي طالما تمنى الحصول عليه وهو في عز أخلاقه وشرفه وفضله لكن القدر عاكسه وأهداه الوسام مع رسالة رقيقة تثنى على معارفه وشرفه، وتطري أخلاقه وفضله وهو غارق في وحل الردائل والدنس..

كانت هذه بعض من أساليب السخرية الهادفة التي استعان بها الكاتب لفضح بعض الشخصيات الانتهازية الكثيرة الموجودة في المجتمع شخصيات تتصف بالنفاق والرياء والخداع والجشع، تتسلق على حساب الضعفاء البسطاء لتصل إلى أهدافها وتحقق مصالحها ...

2-3: قراءة تحليلية لقصة "مع حمار الحكيم:

الكتاب هو مجموعة مقالات كان يكتبها في جريدة "البصائر"، استهله في جانفي 1949 بمقال بعنوان: "ساعة مع حمار الحكيم" تحدث فيه عن استمتاعه بمطالعتة الشيقة لكتاب "حماري قال لي" للأديب المصري توفيق الحكيم، وبناء على أساس "من التصور بأن حمار توفيق الحكيم بأفكاره الفلسفية قد زار الجزائر، وأن حوحو قد استقبله بوصفه كاتباً وأديباً.³⁵ وقد بدا حوحو في كتابه المذكور ذا صراحة وجرأة كبيرتين في تناول القضايا التي جمعها من قلب المجتمع الجزائري العميق، فالكاتب استطاع أن ينفذ حياة الشعب وأحواله، وحاول أن يغير ما يمكن أن يكون قهراً أو تسلطاً، أو جهلاً، أو ركوداً اجتماعياً، غير أن الكتاب تعرض لنقد شديد من بعض النقاد كقول أحدهم: "ما هو جانب الابتكار الأدبي، والفني في كتابه؟ أهو في خلق شخصية حمارية، والحمار لتوفيق الحكيم، أم في الأسلوب والشكل، وهو محاكاة بيّنة، أم في الموضوعات وهي مما طرقه الكاتب المصري في كثير من كتبه، يعرف ذلك كل من قرأ له"³⁶ فرد عليه الكاتب بقوله: "وهذا القسم الأول من النقد تافه، وتافه جداً... وماذا يهم أن يختار الكاتب بغلا جزائرياً، وحماراً مصرياً لحواره، وليس لهذه الحيوانات البكم جنسيات، فهي عالمية"³⁷ لكنه وهو في جو الرد على النقد لا يخلو من دعابة وطرافة وفكاهة في الحديث، وتضم هذه المجموعة القصصية العناوين التالية: حمار الحكيم، والآداب والفنون، والأدباء والفنانون، نحن والغرب، والزواج، وفلسفة الحمار، مع القارئ، المجنون، أحزابنا السياسية، والآداب العربي، والسعادة، وعلم التربية، وبريد الحمار³⁸

3-2-1 ملخص لمقال "نحن والغرب":

في هذا المقال القصصي يحاور أحمد حوحو كاتباً غربياً مستشرقاً يدعي أنه من المهتمين بحضارة العرب ويريد أن يبرز النواحي الرائعة منها منتظراً من كاتبنا أن يغمره بعبارات الشكر والإطراء، غير أنه دهش وسقط في يديه عندما أبدى له حوحو غير ذلك بل طالبه أن يبدي مساوئ الغربيين الذين ينظرون إلى العرب نظرة احتقار وازدراء حتى أولئك الذين يدعون أنهم يقفون موقف الدفاع عن الحضارات أياً كان أصلها هم أنفسهم، متعصبون ينظرون إلى العرب من برج عاجي فدعاهم أحمد حوحو أن ينزلوا من صرح أوهامهم وغرورهم عند ذلك يمكن أن يكون التلاقي والتحاور من منطلق أن الجميع متساوون في المحاسن والمساوي..³⁹

2-2-3 أساليب السخرية في المقال : هذا المقال القصصي كغيره من المقالات التي وردت في المجموعة الساخرة ، وهو يعالج قضية ثقافية كان لها وزنها في المجتمع وهي قضية الاستشراق غير أن الكاتب عالجا بطريقة هزلية تهكمية أوسع فيها هؤلاء المستشرقين -المتعالين في نبرتهم وهم عز في دفاعهم عن الحضارة العربية والإسلامية- أوسعهم فضحا وتعرية مستخدما بعض الأساليب التي تخدم توجهه الساخر ومن هذه الأساليب :

❖ الأساليب البلاغية: التي ترمي إلى السخرية والتهكم كالاستفهام في قوله : "ولماذا تحمل نفسك هذا العناء؟"⁴⁰ وقوله : "وأين هذا التساوي وأنتم تنظرون إلينا كشعب منحط في حاجة إلى التربية والتعليم؟ أو لم تكن دعوة هذا الاستعمار أنه يقوم برسالة تمدينية؟"⁴¹ وقوله أيضا : "ألا ترى بعد هذا أن الشقة بعيدة بيننا ، بعد الشرق عن الغرب؟"⁴² وهي كلها استفهات ساخرة لم يرد الكاتب جوابا لها ، بل كان يبغى من وراءها كشف هؤلاء الذين يدعون أنهم حريصون على تقديم الحقائق إلى العالم ، وخدمة القضايا العادلة ، لكنهم ليسوا كذلك ، فهم يختفون وراء الشعارات البراقة التي ينثرونها هنا وهناك ، بدافع التمدن والتحضر ، كيف لا وهم يفضون الطرف عن استغلال حكوماتهم للبلاد العربية ، ويعيثون فيها فسادا وإجراما ، جعلوا "الغربي في صورة المعلم المثالي ، والشرقي في صورة التلميذ الشرس البليد ، فبعثتم في نفوس أبناء بجدتكم الغرور والكبرياء ، حتى أصبحوا يتخيلون أفضع مساوئهم محاسن يستحقون عليها الشكر والثناء."⁴³

❖ التشبيه : من خلال تصويره للمواطن الجزائري وهو في أشد حالات ضعفه بصورة "التلميذ الشرس البليد"⁴⁴ وهي صورة رسمها الاحتلال الفرنسي للمواطن الجزائري إمعانا في إذلاله وتحقيره. بالمقارنة مع المواطن الأجنبي .

❖ التعريض : وفيه "ينال الكاتب الساخر من المسخور منه ، ويعبث بخصمه بطريقة خفية ذكية ، ومؤلمة في الوقت نفسه ، فهو يوفر الجمالية في التعبير والطرافة في القول ، والمتعة في نفس القائل والمستمع والمطلع على القول المعرض."⁴⁵ ويظهر هذا الأسلوب في قول الكاتب "ولكن للأسف تتجلى هذه التربية في استغلالكم لبلادنا ، ويظهر هذا التعليم في إهانتكم لشعبنا ، حتى أنكم تصبغون دائما أعمالكم إزاءنا -وحتى القاسية منها -بصبغة التحضير والتمدين"⁴⁶ فهنا يعرض كاتبنا بالكاتب الأجنبي وحكومته التي

تعمل على تذليل الشعب وإهانتته مدعية أنها جاءت لرفع راية التمدن والتحضري في البلاد العربية.

ونلاحظ هذا الأسلوب أيضا عندما توجه الكاتب بحديثه إلى الحمار بعد ان سألته هذا الأخير عن رأيه في الكتاب الغربيين فأجابته: "كم من كاتب ضليع كان يحتل في نفسي مكانة لا تقل عن مكانة غيره من كبار كتاب العربية، ولكنني حينما قرأت له ما يسميه ب"المشقيات" تلاشت مكانته، وانمى إكباري له، وزال إعجابي بعقله الذي بدا لي صغيرا ضعيفا واهيا... وكمن من شاعرتراه يسمو فيما يكتبه من أدبيات أو اجتماعيات حيث تجده يتحرى الإخلاص والدقة وسداد الرأي ومثانة الأسلوب.. لكنه عندما يكتب عن الشرق والمشرقيين فإنه ينزل من صرحه الشامخ إلى الدرك الأسفل من الانحطاط لما يأتي به من الترهات والسخافات التي يملها عليه تعصبه البغيض."⁴⁷ فالكاتب يعرض بأولئك الكتاب الغربيين الذين يدرسون عن المشرق وشؤونه بكتابات تدعو إلى السخرية لأنهم ينطلقون من مبدأ التعصب لحضارتهم الغربية ناظرين إلى غيرهم من العرب نظرة تصغير وتقزيم، فأضاعوا الحق وتزينوا بالباطل ولم يتوخوا الإنصاف والحياد في أحكامهم فلا هم لهم إلا "إرضاء أغراضهم الخاصة، وإشباع شهواتهم بالنيل من الشرق والمشرقيين، وكل ذلك باسم العلم، باسم المدنية، باسم الاجتماع، باسم الأدب."⁴⁸ هؤلاء هم المستشرقون كلهم متشابهون في حكمهم على العرب حتى المنصفين وهم قلائل تراهم ينظرون إلى العرب وكأنهم سر غامض لذلك يرى أحمد حوحو أن نقطة التلاقي بين الشرق والغرب بعيدة جدا بعد الشرق عن الغرب.

❖ **المفارقة:** وتتجلى هذه الظاهرة في قول أحمد حوحو للحمار: إني أبيع لنفسي أن أتكلم في أبناء جنسي بما أريد، ولكنني لا أسمح لك أبدا أن تفتح فمك بكلمة واحدة في شأنهم!⁴⁹ وذلك عندما استوضحه الحمار بطريقة ساخرة تهكمية: "تقصد تلك النقائص التي يمتاز بها الإنسان عن الحيوان؟! "⁵⁰ في نظرة الحمار لنقائص الإنسان نبرة تهكم من هؤلاء المستشرقين الذين يعيبون على العرب تخلفهم فكان الأولى بهم أن يلتفتوا لأنفسهم وقيموا ميزان أخلاقهم الذي يفتقد لأبسط أبجديات الفطرة السليمة عند ذلك يمكن أن يكون الالتقاء بين الشرق والغرب

طرح الكاتب هذا الموضوع وغيره من الموضوعات الثقافية والاجتماعية في كتابه الذي أجراه على لسان حمار الحكيم بكل جرأة وصراحة متخذا من هذا الأخير درعا واقيا من سهام النقد القاسية، فألقى العبء كله على الحمار الذي تولى مهمة الإفصاح والإصلاح معا دون خوف أو تردد..

الهوامش:

- ¹ نجيب كيالي، من تقنيات السخرية في إمبراطورية المجانين لخطيب بدلة، منتديات ستارتايمز عبد الحلیم محمد حسین، السخرية في أدب الجاحظ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا، ط1، 1397هـ-1988م، ص6.
- ² عبد العزيز شرف، الأدب الفكاهي، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، ط1، 1992، ص85.
- ³ جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مراجعة: عبد المنعم خليل ابراهيم، م3، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1426هـ/2005م، ص329-330.
- ⁴ أدونيس، زمن الشعر، دار العودة، بيروت، ط1، 1972، ص28.
- ⁵ عبد الحكيم خرشوش، أسلوب التكم في عيون البصائر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة، 1436/1437هـ-2015/2016م، ص23.
- ⁶ نبيل راغب، الأدب الساخر، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، 2000، ص13.
- ⁷ شمسي واقف زاده، الأدب الساخر، أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية، جامعة آزاد الإسلامية، بيشوا-إيران، ص101.
- ⁸ ينظر، مصطفى السيوفي، الأدب الضاحك، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية-مصر، ط1، 2008، ص17.
- ⁹ لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي، أول رواية في تاريخ الإنسانية، ترجمة: أبو العيد دودو، نشر مشترك، رابطة كتاب الاختلاف، الجزائر/الدار العربية للعلوم، بيروت، ص6.
- ¹⁰ سامية مشتوب، السخرية وتجلياتها في القصة القصيرة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود تيزي وزو، ص21، نقلا عن العربي الزبيري، المثقفون الجزائريون والثورة، ص8.
- ¹¹ عامر مخلوف، مظاهر التجديد في القصة القصيرة الجزائرية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998م، ص29.
- ¹² مشتوب، مرجع سابق، نقلا عن محمد بن قاسم، السخرية في الادب الجزائري الحديث، ص79-83.
- ¹³ أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط3، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص93.
- ¹⁴ شمسي واقف زاده، مرجع سابق، ص105.
- ¹⁵ علاء الدين أحمد الغرابية، المفارقة في خطاب الأدب الساخر (أحمد حسن الزعي أنموذجا)، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة الزيتونة الأردنية الخاصة، 2014، ص1.
- ¹⁶ عبد العزيز شرف، مرجع سابق، ص115.
- ¹⁷ أحمد رضا حوحو، مع حمار الحكيم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص8.

- ¹⁹ أحمد حمدي، قراءة في سيرة أحمد رضا حوجو، موقع بن باديس، 12 جمادى الأولى 1438هـ/2017-2-9م
- ²⁰ أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص93
- ²¹ أحمد رضا حوجو، نماذج بشرية، مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة، مصر، ص2013، ص10
- ²² المصدر نفسه، ص8
- ²³ المصدر نفسه، ص15
- ²⁴ المصدر نفسه، ص24
- نجية طهاري، بناء الشخصيات في مسرح احمد رضا حوجو، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الحاج خيضر، باتنة، 1431-1432هـ/2010-2011م، ص175
- ²⁶ أحمد رضا حوجو، مصدر سابق، ص121-129
- ²⁷ ينظر، المرجع نفسه، ص213
- ²⁸ المصدر نفسه، ص57
- ²⁹ المصدر نفسه، ص59
- ³⁰ المصدر نفسه، ص59
- ³¹ ينظر، المصدر نفسه، ص59
- ³² المصدر نفسه، ص57
- ³³ المصدر نفسه، ص61
- ³⁴ المصدر نفسه، ص61
- ³⁵ المرجع نفسه، ص68، نقلا عن الطيب ولد العروسي، أعلام من الأدب الجزائري، ص79
- ³⁶ المرجع نفسه، ص68، نقلا عن مولود الطياب، مع حمار الحكيم من جديد، ص3
- ³⁷ عبد الله الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، ص68
- ³⁸ أحمد رضا حوجو، مع حمار الحكيم، ص51
- ³⁹ المصدر نفسه، ص38-42
- ⁴⁰ المصدر نفسه، ص38
- ⁴¹ المصدر نفسه، ص39
- ⁴² المصدر نفسه، ص43
- ⁴³ المصدر نفسه، ص39-40
- ⁴⁴ المصدر نفسه، ص39
- إيمان طبثي، التزعة الساخرة عند السعيد بوطاجين، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2010-2011م، ص73
- ⁴⁶ رضا حوجو، مصدر سابق، ص39
- ⁴⁷ المصدر نفسه، ص41
- ⁴⁸ المصدر نفسه، ص42
- ⁴⁹ المصدر نفسه، ص40
- ⁵⁰ المصدر نفسه، ص40